( **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)** ) .

[ هود : ٦ ] .

---

( **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ) يخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها .

- والرزق : ما يسوقه الله لخلقه ليقيم به شؤون حياته .

قيل لأبي أسيد : من أين تأكل؟ فقال : سبحان الله والله أكبر إن الله يرزق الكلب أفلا يرزق أبا أسيد .

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل؟ فقال : من عند الله ؛ فقيل له : الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال : كأن ما له إلا السماء يا هذا الأرضُ له والسماءُ له ؛ فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض ؛ وأنشد :

وكيف أخافُ الفقرَ واللَّهُ رازقي . . .ورازق هذا الخلق في العُسْرِ واليُسْرِ

تَكَفَّلَ بالأرزاقِ للخلقِ كُلِّهِمْ . . .وللضَّبِّ في البيداءِ والحُوتِ في البحرِ

( **وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ) أي: يعلم أين مُنتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها.

وقيل : ( وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ) أي: حيث تأوي ( وَمُسْتَوْدَعَهَا ) حيث تموت.

( **كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ) أي : وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك ، وهو اللوح المحفوظ .

فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها ، وأحاط علماً بذواتها ، وصفاتها .

- ما قال تعالى ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ) .

وقوله تعالى ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) .

- وللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق: سماه القرآن بالكتاب .

كما في قوله تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

وبالإمام المبين ، كما في قوله تعالى (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ).

وبالكتاب المسطور ، كما في قوله تعالى (وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ).

وبأم الكتاب ، كما قال تعالى (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ).

**الفوائد :**

١- أن الله متكفل كل دابة على وجه الأرض .

٢- أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

٣- أن الرزاق هو الذي يستحق العبادة والخضوع .

٤- على الإنسان أن يطمئن ، فإن قد تكفل برزقه .

٥- عموم علم الله بكل شيء .

٦- الإيمان بأن الله يعلم كل شيء ، وأن كل شيء مكتوب .

وهذه من مراتب الإيمان بالقدر .

فإن الإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور :

**منها : الإيمان بعلم الله الشامل .**

معناه : الإيمان بأن الله تعالى قد علم بعلمه الأزلي الأبدي ما كان وما يكون من صغير ، وكبير ، وظاهر ، وباطن مما يكون من أفعاله أو أفعال مخلوقاته .

دليل هذه المرتبة :

قال تعالى : ( هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ) .

وقال تعالى : ( لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ) .

ومنها : **أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء .**

ومعناه : الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدر قبل أن يكون .

**ودليل هذه المرتبة :**

قوله تعالى ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ) .

عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ) . رواه مسلم .

**وهناك آية فيها دليل لكلا المرتبتين :**

قال تعالى ( ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ) .

**( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) ) .**

[ هود : ٧- ٨ ] .

---

**( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ )** أي : الذي أوجدها على تقدير محكم ، لأن الأصل أن الخلق لغة هو التقدير .

والله يحمد على ذلك كما قال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ) .

- وإنما ذكر السموات والأرض ، لأنهما من أعظم المخلوقات .
- وخلقهما بالحق كما سيأتي إن شاء الله .

قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)

أي: وليس عبثاً ، فإن الله منزه عن العبث ، فكل شيء أوجده الله أوجده لحكمة ، فالحق ضد الباطل ، فالله خلقهما لحكم باهرة ، لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً ولا لعباً

كما قال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار).

وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ).

وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُون).

**( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ )** أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة.

- **قال ابن عطية:** وتظاهرت الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتدئ يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء.
- **وقال القرطبي:** قوله تعالى (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة.
- **وقال ابن كثير:** والستة الأيام هي: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة –وفيه اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم، عليه السلام.
- وقد اختلف في مقدار هذه الأيام:

فقيل: كأيامنا هذه.

لأن الله أطلقها، وإذا أطلق يحمل على المعروف المعهود وهي أيامنا هذه.

وقيل: كل يوم مقدار خمسين ألف سنة.

وقيل: المراد باليوم لحظة.

والراجح الأول.

- فإن قيل: أليس الله بقادر على أن يخلقها في لحظة؟

فالجواب: بلى، لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

قال تعالى (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون).

وقال تعالى ( ... قال كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون).

وقال تعالى (هو الذي يحي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون).

- وإنما خلقها في ستة أيام لحكمتين:

**الحكمة الأولى:** أن هذه المخلوقات يترتب بعضها على بعض، فرتب الله بعضها على بعض حتى أحكمها.

**الحكمة الثانية:** أن الله علم عباده التؤدة والتأني، وأن الأهم إحكام الشيء لا الفراغ منه.

- هذه الأيام أربعة منها للأرض، ويومان للماء، كما فصل ذلك في سورة فصلت ( قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا ... ) .
- **قال الإمام القرطبي:** وذكر هذه المدة – أي ستة أيام – ولو أراد خلقها في لحظة لفعل؛ إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون، ولكنه أراد:
  - o أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور.
  - o ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء ... .
  - o وحكمة أخرى: خلقها في ستة أيام؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً، وبيّن بهذا ترك معالجة العصاة بالعقاب؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً ... .
- **وقال ابن الجوزي:** فإن قيل: فهلا خلقها في لحظة، فإنه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة:

أحدها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الأنباري.

والثاني: أنه التثبت في تمهيد ما خُلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة.

والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قوله (كن

فيكون).

والرابع: أنه علّم عباده التثبت، فإذا تثبت مَنْ لا يَزِلُّ، كان ذو الزلل أولى بالتثبت.

والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.) ا. هـ.

- وقال القاضي أبو السعود ( ... وفي خلق الأشياء مدرجاً مع القدرة على إبداعها دفعة دليل على الاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور) ا.

( **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** ) أي : كان قبل خلقهما عرشه على الماء ، وفيه بيان تقدّم خلق العرش والماء على السموات والأرضين.

وقد جاء في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ ( إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ) .

والعرش: لغة عبارة عن السرير الذي للملك، سمي عرشاً لارتفاعه عليه

وشرعاً: هو العرش الذي أضافه الله لنفسه وهو سرير عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف هذه المخلوقات .

وقد ذكره الله في كتابه في سبعة مواضع ، وأنه استوى عليه سبحانه وتعالى استواء يليق بجلاله .

وقد وصفه الله بأوصاف عظيمة.

وصفه بالعظمة:

قال تعالى (ورب العرش العظيم).

ووصفه بأنه كريم:

قال تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

ومدح نفسه سبحانه بأنه ذو عرش:

كما قال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش).

وأخبر سبحانه أن للعرش حملة:

قال تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله ... ).

وقال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية).

وأخبر سبحانه أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض:

قال تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء).

وأخبر النبي ﷺ أن العرش فوق الفردوس:

قال ﷺ (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن).

وله قوائم:

قال ﷺ (لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ... ).

- **قال الشنقيطي** : وفي هذه الآية دلالة على أن العرش موجود قبل خلق السماوات والأرض وأن الماء كان تحته ، ولم تكن حينئذ أرض ولا سماء .

( **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا** ) ولم يقل : أكثر عملاً .

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل.

كما قال تعالى هنا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) ولم يقل أيكم أكثر عملاً.

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

فالإحسان: أن يأتي بالعمل حسناً متقناً لا نقص فيه ولا وصم، وإحسان العمل لا يمكن إلا بمراقبة خالق هذا الكون.

**قال الشنقيطي** : صَرَّحَ تعالى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِحِكْمَةِ ابْتِلَاءِ الْخَلْقِ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا عَبَثًا وَلَا بَاطِلًا، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهَدَّدَهُمْ بِالنَّارِ، قَالَ تَعَالَى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ .

- وأعظم دافع للإحسان مراقبة الله تعالى،

ولذلك فسر ذلك النبي ﷺ الإحسان بقوله لما سأله جبريل ما الإحسان؟ (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم.

وسؤال جبريل هذا ليعلم أصحاب النبي ﷺ معنى الإحسان، وأن إحسان العمل إنما يكون لمن راقب الله وعلم يقينياً أن الله مطلع عليه.

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل.

- فعلى المسلم أن ينظر إلى إحسان العمل وإخلاصه لا إلى كثرته .

وإحسان العمل : اتقان العمل إخلاصاً ومتابعة .

قال ابن رجب : والحامل على ذلك أن يعبد العبد ربه كأنه يراه .

وعلم ﷺ معاذاً أن يقول ( اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ) .

وقد وصى ﷺ رجلاً أن يصلي صلاة مودع ، يعني يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى ، فيحمله على ذلك إتقانها وتكميلها وإحسانها .

وقد وردت أحاديث فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل .

كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ( إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا )

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا ) متفق عليه .

وعن عثمان . قال : قال ﷺ ( من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ... ) رواه مسلم .

وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه ، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان .

قال بعض السلف : إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض .

وقال بعض السلف : لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟ يشير إلى قوله تعالى ( إنما يتقبل الله من المتقين ) .

وقد جاء في صحيح مسلم قال ﷺ ( لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدْعُ به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ،

وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ) .

وجاء في حديث ( وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة ) .

قال ابن تيمية : وفي الصحيحين ( إن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فسقته به فغفر لها ) وفي لفظ في الصحيحين ( أنها كانت بغياً من بغايا بني إسرائيل ) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له ) .

فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها ، وإلا **فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها** .

وكذلك هذا الذي نحَّى غصن الشوك عن الطريق ، فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه ، فغفر له بذلك ، **فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص** ، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض ، **وليس كل من نحَّى غصن شوك عن الطريق يغفر له** .

قال ابن المبارك : رب عمل صغير تكبره النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .

( **وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ** ) يقول تعالى: ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بدأهم _ مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض –

( **لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ** ) أي: يقولون كفراً وعناداً ما نصدقك على وقوع البعث، وما يذكر ذلك إلا من سحرته، فهو يتبعك على ما تقول.

( **وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ** ) إمهالاً لا إهمالاً وغفلة .

( **إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ** ) يقول تعالى: ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور، وأوعدناهم به إلى مدة مضروبة، ليقولن تكذيبا واستعجالاً .

- **قال ابن عاشور** : و( معدودة ) معناه مقدرة ، أي مؤجلة ، وفيه إيماء إلى أنّها ليست مديدة لأنّه شاع في كلام العرب إطلاق العَدّ والحساب ونحوهما على التّقليل ، لأن الشيء القليل يمكن ضبطه بالعدد ، ولذلك يقولون في عكسه : بغير حساب ، مثل ( والله يرزق من يشاء بغير حساب ) .
- أطلقت الأمة في القرآن على عدة معان اذكرها؟

أ–بمعنى الطائفة.

كما قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً ... ) .

ب–بمعنى الإمام.

كما قال تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً) .

ج–بمعنى الملة.

كقوله تعالى عن المشركين (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ... ) .

د–بمعنى الزمن .

كما في هذه الآية .

وكما قال تعالى (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ... ) .

قال السعدي : أي: إلى وقت مقدر فتباطأوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم .

( **لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ** ) يعني العذاب ؛ وقالوا هذا إما تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم ، أو استعجالاً واستهزاء ؛ أي ما الذي يحبسه عنا. ( القرطبي ) .

- **قال السعدي** : ومضمون هذا تكذيبهم به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلا على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال .

( **أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ** ) العذاب .

( **لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ** ) أي : ليس محبوساً عنهم ، بل واقع بهم لا محالة .

( **وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ) أي : أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء منهم ، ووضع يستهزءون مكان يستعجلون ، لأن استعجالهم كان استهزاء منهم ، وعبر بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه ، فكأنه قد حاق بهم.

**الفوائد :**

١- أن الخالق هو الله .

٢- أن الخالق هو الذي يستحق العبادة ، قال تعالى ( أفمن يخلق كمن لا يخلق ) .

٣- حكمة الله تعالى في خلق السماوات والأرض في ستة أيام .

٤- أن أفعال الله قائمة على الحكمة .

٥- حكمة الله في خلق الكون : وهو الابتلاء والاختبار : أيهم أحسن عملاً .

٦- أهمية إحسان العمل .

٧- إحسان العمل وإتقانه أولى وأهم من كثرته مع قل الإتقان .

٨- أن العبرة بالأعمال بما في القلوب من الإخلاص والإحسان .

٩-وجوب الإيمان بالبعث .

١٠- أن من أنكر البعث فهو كافر .

١١- حكمة الله في تأخير العذاب عن الكفار ، وأن الله يؤخر عنهم العذاب لحكمة لا إهمالاً .

١٢- أن وقوع عذاب الله له وقت محدد يعلمه الله .

١٣- أن عذاب الله إذا جاء لا يرد .

( **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)** ) .

[ هود : ٩- ١١ ] .

---

( **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ** ) أي : ولئن منحنا الإنسان- بفضلنا وكرمنا- بعض نعمنا، كالصحة والغنى والسلطان والأمان ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ أي: ثم سلبناها منه، لأن حكمتنا تقتضي ذلك.

إِنَّهُ في هذه الحالة لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ أي : لشديد اليأس والقنوط من أن يرجع اليه ما سلب منه أو مثله، ولكثير الكفران والجحود لما سبق أن تقلب فيه من نعم ومنن.

- **قال الشوكاني:** وفي التعبير بالذوق ما يدل على أنه يكون منه ذلك عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه: لأن الإذاقة والذوق أقل ما يوجد به الطعم .

( **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ** ) أي : ولئن أذقنا هذا الإنسان اليؤوس الكفور نَعْماءَ بعد ضراء مسته كصحة بعد مرض، وغنى بعد فقر، وأمن بعد خوف، ونجاح بعد فشل..

( **لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي** ) أي : ليقولن في هذه الحالة الجديدة ببطر وأشر، وغرور وتكبر، لقد ولت المصائب عني الأدبار، ولن تعود إلي .

( **إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ** ) أي : لشديد الفرح والبطر بالنعمة: كثير التباهي والتفاخر بما أعطى منها، مشغول بذلك عن القيام بما يجب عليه نحو خالقه من شكر وثناء عليه- سبحانه-.

- **قال ابن عاشور** : وشدة الفرح : تجاوزه الحد وهو البطر والأشَر ، كما في قوله ( إنّ اللهَ لاَ يُحبُّ الْفَرحين ) .

والفخر : تباهي المرء على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للنّاس.

والمعنى أنّه لا يشكر الله على النعمة بعد البأساء وَمَا كان فيه من الضرّاء فلا يتفكر في وجود خالق الأسباب وَنَاقل الأحوال ، والمخالف بين أسبابها.

- **قال ابن القيم** : قوله ( ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عني ) لَو أَنه قَالَ أذهب الله السَّيِّئَات عني برحمته وَمِنْه لما ذمّ على ذَلِك بل كَانَ مَحْمُودًا عَلَيْهِ وَلكنه غفل عَن الْمُنعم بكشفها وَنسب الذّهاب إِلَيْهَا فَرح وافتخر فَإِذا علم الله سُبْحَانَهُ هَذَا من قلب عبد فَذَلِك من أعظم أَسبَاب خذلانه وتخليه عَنهُ فَإِن مَحَله لَا تناسبه النِّعْمَة الْمُطلقَة التَّامَّة . ( الفوائد ) .
- **وقال رحمه الله** : وفي الحديث الصحيح : أن ثلاثة أراد الله أن يبتليهم أبرص وأقرع وأعمى فأظهر الابتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم فأما الأعمى فاعترف بإنعام الله عليه وأنه كان أعمى فقيرا فأعطاه الله البصر والغنى وبذل للسائل ما طلبه شكرا لله وأما الأقرع والأبرص فكلاهما جحدا ما كان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر وقال في الغنى إنما أوتيته كابرا عن كابر وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولا من نقص أو جهل وفقر وذنوب وأن الله سبحانه نقله من ذلك إلى ضد ما كان عليه وأنعم بذلك عليه . ( شفاء العليل ) .
- إن قيل : ما وجه عيب الإنسان في قوله (ذهب السيئات عني) وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال (فرحين) ؟

فقد أجاب عنه ابن الأنباري ، فقال : إنما عابه بقوله ( ذهب السيئات عني ) لأنه لم يعترف بنعمة الله ، ولم يحمَده على ما صُرف عنه ، وإنما ذمه بهذا الفرح ، لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبُّر عن طاعة الله

- وإنها أيضاً لصورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر، الذي يعيش في لحظته الحاضرة، فلا يتذكر فيما مضى، ولا يتفكر فيما سيكون عليه حاله بعد الموت، ولا يعتبر بتقلبات الأيام، فهو يؤوس كفور إذا نزعت منه النعمة، وهو بطر فخور إذا عادت إليه، وهذا من أسوأ ما تصاب به النفس الإنسانية من أخلاق مرذولة. ( التفسير الوسيط ) .
- **قال الرازي** : قوله ( الإنسان ) في هذه الآية فيه قولان :

**القول الأول** : أن المراد منه مطلق الإنسان ويدل عليه وجوه :

الأول : أنه تعالى استثنى منه قوله ( إِلاَّ الذين صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات ) والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل ، فثبت أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر ، وذلك يدل على ما قلناه.

الثاني : أن هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى (والعصر . إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ . إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات) وموافقة أيضاً لقوله تعالى ( إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشر جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخير مَنُوعاً ) .

الثالث : أن مزاج الإنسان مجبول على الضعف والعجز.

قال ابن جريج في تفسير هذه الآية يا ابن آدم إذا نزلت لك نعمة من الله فأنت كفور ، فإذا نزعت منك فيؤس قنوط.

**والقول الثاني** : أن المراد منه الكافر .

قالو : إن الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر لأنه وصفه بكونه يؤوساً ، وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى ( إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ) ووصفه أيضاً بكونه كفوراً ، وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضاً بأنه عند وجدان الراحة يقول ( ذهب السيئات عني ) وذلك جراءة على الله تعالى ، ووصفه أيضاً بكونه فرحاً ( والله لاَ يُحِبُّ الفرحين ) ووصفه أيضاً بكونه فخوراً ، وذلك ليس من صفات أهل الدين.

- **قال الشنقيطي** : في هذه الآية ذكر تعالى أن عادة الإنسان الجزع عندما يصيبه شر من فقر ومرض وغيرهما ، والبطر عندما يحصل له خير من عافية وغني وغيرهما ، فهو معيب في كلا طرفي الابتلاء ، فهو لا ينجح في الأمرين ، إذ لا يشكر نعمة ولا يصبر على نقمة .

وَقَدْ أَوْضَحَ جَلَّ وَعَلَا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ :

كَقَوْلِهِ تعالى في سورة فصلت ( لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ) .

وَقَوْلِه تعالى في سورة الروم ( وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ) .

وَقَوْلِهِ فِيهَا أَيْضًا ( وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ) .

وَقَوْلِهِ تعالى فِي سُورَةِ يس ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ) .

وَقَوْلِهِ تعالى فِي سُورَةِ الزُّمَر ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ) .

وَقَوْلِهِ فِيهَا أَيْضًا ( فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

- أما المؤمن الحق ، فقد بيّن النبي ﷺ أنه بخلاف ذلك : يشكر عند السراء ، ويصبر عند الضراء .

قال ﷺ ( عَجَباً لأَمْرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن : إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَه ) .

- ثم استثنى الله من هذا الخلق السيء

( **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا** ) عند الضراء فلم ييأسوا ، وعند السراء فلم يبطروا .

- **قال الخازن** : هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فإنهم ليسوا كذلك فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالتهم نعمة شكروا عليها ( أولئك ) يعني من هذه صفتهم ( لهم مغفرة ) يعني لذنوبهم ( وأجر كبير ) يعني الجنة.
- **قال ابن عاشور** : ومنْ معاني الصبر انتظار الفرج ولذلك أوثر هنا وصفُ ( صبروا ) دون ( آمنوا ) لأنّ المرادَ مقابلة حالهم بحال الكفّار في قوله ( إنّه ليؤوس كفور ) .

ودل الاستثناء على أنّهم متّصفون بضد صفات المستثنى منهم.

وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين على اختلاف مقادير.

- وفي هذا فضل الصبر .

**أولاً : معية الله للصابرين .**

قال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .

**ثانياً : محبة الله لهم .**

قال تعالى ( وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) .

**ثالثاً : إطلاق البشرى لهم .**

قال تعالى ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ) .

**رابعاً : إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم .**

قال تعالى ( وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

**خامساً : ضمان المدد والنصرة لهم .**

قال تعالى ( بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ ) .

**سادساً : استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم .**

قال تعالى ( وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ) .

وقال تعالى ( وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ )

**سابعاً : حفظهم من كيد الأعداء .**

قال تعالى ( وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ) .

**ثامناً : سبب للحصول على درجة الإمامة في الدين .**

قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآياتِنَا يُوقِنُونَ ) .

**قال ابن تيمية :** بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ثم تلا هذه الآية ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) .

**تاسعاً : أنه من أسباب النصر .**

كما في حديث ابن عباس ( واعلم أن النصر مع الصبر ) .

**عاشراً : أمر الله به المؤمنين .**

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) .

**الحادي عشر : الصبر ضياء .**

كما قال ﷺ ( والصبر ضياء ) .

**قال ابن رجب :** ولما كان الصبر شاقاً على النفوس ، يحتاج إلى مجاهدة النفس ، وحبسها وكفها عما تهواه ، كان ضياء ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر .

**الثاني عشر : أنه خير ما أعطي العبد .**

قال ﷺ ( وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر ) رواه مسلم .

- فعلى المسلم أن يصبر ويتصبر حتى يتعود على الصبر .

عن أبي سعيد ( أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَألوا رسولَ الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَألوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِندَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ ( مَا يَكُنْ عِنْدي مِنْ خَيْر فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ . وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْر ) مُتَّفَقٌ عليه .

- **قال السعدي** : وإنما كان الصبر أعظم العطايا ، لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته ، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر ، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله ، حتى يقوم بها ويؤديها ، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله ، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة ، فلا يتسخطها ، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس ، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم ، بل يشتغل بشكر الله ، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر ، وبالصبر ينال الفلاح ، ولهذا ذكر الله أهل الجنة فقال ( وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ) ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ) وكذلك قوله ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ) .

فهم نالوا الجنة بنعيمها ، وأدركوا المنازل بالصبر ، ولكن العبد يسأل الله العافية من الابتلاء الذي لا يدري ما عاقبته ، ثم إذا ورد عليه فوظيفته الصبر ، فالعافية هي المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان ، والصبر يؤمر به عند وجود أسبابه ومتعلقاته ، والله هو المعين .

( **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ) من واجبات ومستحبات .

ولعمل الصالح لا يكون صالحاً إلا بشرطين: الشرط الأول: أن يكون خالصاً لله، قال ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى) متفق عليه.

الشرط الثاني: أن يكون متابعاً للنبي ﷺ، لقوله ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم.

فمن عمل عملاً أشرك به مع الله غيره ولو يسير الرياء كان عمله غير صالح، ومن أخلص لله لكن على غير شريعة رسول الله ﷺ كان عمله غير صالح .

- **قال السعدي**: ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه.
- ودائماً يقرن الله العمل بالصالح، لأنه ليس كل عمل يقبل إلا إذا كان صالحاً.

قال تعالى (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ).

وقال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ... ).

( **أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** ) يستر الله ذنوبهم جزاء صبرهم وشكرهم .

وفي هذا زوال المرهوب.

( **وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ) أي : ثواب كبير عظيم ، وهو الجنة .

كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً).

وقال تعالى (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ).

والأجر في اللغة جزاء العمل .

- وسمي الثواب أجراً: لأنه سبحانه التزم على نفسه أن يجزي به كالتزام المستأجر بدفع الأجرة للأجير.
- ووصفه بالكِبَر لما في الجنة من عظيم الشأن، لأن الله يقول فيها (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، ولأجل هذا وصِف هذا الجزاء بالعظم، وقد جاء مفصلاً في القرآن جميع ملاذه، كالمناكح في النساء التي هن في غاية الجمال، والملابس التي هي في غاية الجمال، والمشارب، والأواني والحلي والولدان وغيرها من النعيم، وأعلى ذلك النظر

إلى وجهه الكريم.

- وفي هذا حصول المطلوب
- وقدم المغفرة على الأجر العظيم، لأن التخلية قبل التحلية، فغفر لهم وطهرهم من الذنوب أولاً ثم آتاهم الأجر العظيم.

**الفوائد :**

١- شدة يأس الإنسان إذا أصابه ما يكره .

٢- قلة صبر الإنسان عند حدوث المكروهات .

٣- طغيان الإنسان عند النعم ، وأنه يطغى وينسى الشكر .

٤-المسلم الحقيقي يصبر عن الشدائد ، ويشكر عند النعم .

٥- فضل الصبر ، وأنه سبب لكل فضيلة .

٦-فضل العمل الصالح .

**( فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢) ) .**

[ هود : ١٢ ] .

---

**( فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ .... )** كان النبي ﷺ يشق عليه تكذيب قومه له ، وادعاء أنه ساحر وكاهن وشاعر ، والقرآن سحر وكهانة ، فحرصه الله تعالى أن يبلغ ما أوحي إليه ، لأن ذلك وظيفته ، ولا يلتفت إلى شدة إنكارهم وتكذيبهم .

- واختلف في ( لعل ) على أوجه أظهرها ، أنه قصد بها النهي والزجر ، كما يقول للعبد : لعلك تفرط في الأمر الفلاني ، والقصد من ذلك توبيخه وزجره عن التفريط .

والمعنى : إياك يا محمد أن تترك بعض ما يوحى إليك أو يضيق به صدرك .

فقوله **( تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ )** مما يشق على الكفار سماعه ودعوتهم إليه .

**( لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ )** الكنز المراد به الذهب والفضة ، و ( لولا ) بمعنى : هلا ، للتحضيض والطلب بشدة .

والمعنى : أنهم يقولون : إذا كنت رسولاً من عند الله فلم لا نرى معك شيئاً من الغنى والكنوز ، وأنت مثلنا تأكل الطعام وتمشي في الأسواق .

كما قال تعالى ( وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ) .

**( أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ )** أي : ليأمر الناس باتباعه ويشهد له بالرسالة حتى نصدقه .

**( إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ )** أي : لم نرسلك لتأنينهم بما يقترحون عليك من الآيات ، وليس ذلك من وظيفتك ، وإنما وظيفتك أن تنذرهم وتخوفهم عقوبة ربهم .

وقد بين تعالى أنه أنزل آية عظيمة يُستنكر أن يُطلب غيرها من المعجزات ، لأنها كافية لمريد الحق ، وهي كتابه العزيز .

قال تعالى ( أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) .

**( وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ )** فهو الوكيل عليهم ، يحفظ أعمالهم ، ويجازيهم بها أتم الجزاء .

فالوكيل : الحافظ الذي تسند إليه الأمور ليكفي غيره ، وهو من أسماء الله تعالى . ( رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ) .

**الفوائد :**

١- ذم من هذا عمله ، الجزع عند الشدائد ، والبطر عند النعم .

٢-وجوب الصبر عند الشدائد .

٣- وجوب الصبر عند النعم ، وذلك بالقيام بشكرها واستعمالها فيما يرضي الله تعالى .

٤- أن المؤمن الحق يصبر عند الشدائد ، ويشكر عند النعم .

٥- أن الشدائد تحتاج إلى صبر ، وكذلك النعم تحتاج إلى صبر .

**الأحد : ٤/رمضان/١٤٣٩هـ**